القبـــس
مركز المعلومات والدراسات

رقم التسلسل	تاريخ ميلادي ٢١/٥/٢٠٠٠	التاريخ الهجري ١٧ صفر ١٤٢١	اليوم: الأحد
المصدر الخليج	نوع المصدر صحيفة	مكان الصدور الإمارات	وتيرة الصدور: يومية
رقم العدد ٧٦٧٢	رقم الصفحة ١٥	عدد الصفحات ١	رقم العامود: ١
المحتويات نص+ صور	حجم	نوع المادة: ٦	
الكاتب: د. محمد السعيد		الجهة	
خاص القبس #٨٢			

ألغاز الخليج وتحديات المستقبل

بكل المقاييس والمعاني لا يمكن وصف ندوة «مستقبل العلاقات الكويتية - العراقية» التي نظمها، مؤخرا في الكويت، مجلس الأمة الكويتي إلا انها عمل جريء ومؤشر لا يمكن تجاوزه في التخطيط للمستقبل. لم تحسم الندوة، كما كان متوقعا، الموقف الكويتي الراهن من العراق، لكنها كشفت، بل أكدت، ان ما هو قائم من علاقات كويتية - عراقية في الوقت الراهن ليس إلا طارئا واستثنائيا، وأن ما هو قادم من تطورات لن يستطيع ابدا تجاوز العراق.

هذا الاستنتاج الذي خرجت به الندوة ليس جديدا فقد سبق ان بادر به عدد من صفوة مفكري الكويت أمثال الدكتور سامي الفرج والدكتور خلدون النقيب والدكتور غانم النجار وغيرهم. وظهرت افكار مشابهة في ندوة رائدة مشابهة نظمتها جريدة «القبس» منذ ثلاثة أعوام، حيث اكدت على ان «الجغرافيا لا يمكن تجاوزها» بل يجب التفاعل معها، ولا يمكن رهن المستقبل لوقائع الحاضر الطارئة، ووصل الامر وقتها الى ضرورة السعي الى تحقيق «شراكة كويتية - عراقية» بالمعنى الاستراتيجي للمصطلح تؤسس لعلاقات تعاون حقيقية بين البلدين الجارين الشقيقين، بحيث يأخذ كل منهما من الآخر ما يؤمن تثبيت علاقات مستقرة قائمة على قدر كبير من الشفافية والمصارحة. لكن جديد ندوة مجلس الأمة ان هذه القناعات لم تعد محصورة في النطاق الضيق للنخبة الكويتية، ولكنها امتدت الى النخبة الجماهيرية الاوسع، ومن ثم ستجد لها اصداء في الواقع السياسي الكويتي.

رغم ذلك، فإن المأزق لا يزال قائما، والمأزق هو صدام حسين ونظام صدام حسين. والسؤال نفسه لا يزال يتردد: هل تبدا الشراكة بعد سقوط نظام صدام حسين، أم مع نظام صدام حسين؟ لم يستطع احد ان يجيب بحسم حتى الذين رفضوا صراحة أي احتمال للتقارب في ظل وجود صدام حسين ونظامه وبالذات من أبناء الاسرة الحاكمة، امثال الشيخ ناصر صباح الأحمد نجل النائب الاول لرئيس الوزراء وزير الخارجية الذي يعمل حاليا مستشارا للشيخ سعد العبدالله، ولي العهد رئيس مجلس الوزراء.

فعلى الرغم من نفيه المطلق لأي علاقة مع العراق مع بقاء «نظام مستبد وعدواني» فإنه تحدث عن «رؤية استشرافية» للعلاقات تأخذ في اعتبارها البعد التاريخي لهذه العلاقات، وحقائق الجوار الجغرافي ومتطلبات التنمية في المنطقة عموما. ويعيد السؤال فرض نفسه: ماذا لو لم يسقط نظام صدام حسين، ولم يقم في بغداد «نظام ديمقراطي مسالم ملتزم بالمواثيق الدولية»، هل سيبقى التجاهل والتأجيل لأجل غير مسمى لتلك «الحقائق الجغرافية ومتطلبات التنمية» ولذلك البعد التاريخي

لم تقدم الندوة اجابة للسؤال - اللغز في وقت مازالت واشنطن تصر وتؤكد وتحلف بأغلظ الايمان ان «صدام حسين هو أصل مشاكل العراق» على نحو ما أكد صموئيل بيرجر مستشار الأمن القومي الامريكي مؤخرا.

امريكا تهاجم صدام بالكلام وبالقنابل معا، لكنها رغم كل مطالبها باسقاطه، لم تفعل شيئا له معنى، لكن فعلت اشياء لها معان شديدة السوء بحق الشعب العراقي وبحق الشعب العربي في الخليج، وبحق الشعب العربي كله. فهل ستعلق كل طموحات الكويت في شراكة استراتيجية مع العراق، لحين صدور قرار امريكي بحق صدام حسين بات مشكوكا في جديته؟

اللغز يتكشف يوما بعد يوم، ولا أحد يستطيع ان يلوم أهل الكويت على مخاوفهم من صدام.. وربما تكون هناك خطوات مهمة يجب التفكير فيها أبرزها:

ماذا تريد الكويت من مطالب للبدء في تعايش ما أو تعاون ما مع العراق في ظل صدام حسين؟

الاجابة تتطلب اولا فرز المطالب الكويتية عن المطالب الامريكية، إذ لا يجب رهن التقارب مع العراق بمطالب امريكية أيا كان التقدير للدور الامريكي. وهنا بالتحديد تظهر المسؤولية العراقية، إذ يستحيل ان يأتي التقارب من جانب واحد (الكويت) من دون تجاوب فعال من الجانب الآخر (العراق)، خصوصا وان هناك مجموعة من الحقائق الخطيرة أكدها المفكر الكويتي جاسم السعدون تفرض هذا التجاوب المشترك الكويتي - العراقي لتحقيق ذلك القدر الممكن من التقارب. وترك المستقبل للمستقبل أبرزها:

- الحصار للعراق الذي أدى الى نتائج سلبية للفرد والمجتمع خلقت بؤرا قابلة لتصدير عدم الاستقرار.
- اختلاف المصالح وارد بين الكويت وامريكا في أي وقت.
- أن دول المنطقة مدعوة للعمل على انشاء علاقات «ايجابية» فيما بينها بعدما استهلكت الحروب ما يزيد على ٧٠٠ مليار دولار في التسليح والاستعدادات العسكرية.
- الوضع الحرج والصعب للمعارضة العراقية التي اوكلت اليها مهمة تفوق طاقاتها وتتجاوز امكاناتها

هذه الحقائق لا تخص الكويت والعراق وحدهما، لكنها تخص كل دول الخليج ومن بينها ايران. إذ سيكون مستحيلا شروع العراق والكويت في البحث عن صيغة ما «للتعامل» و«التعايش» من دون مشاركة مسؤولة من جميع الدول الخليجية الاخرى، التي قد يتصور بعضها خطأ ان بمقدوره ان يتعاون وان يؤسس لعلاقات تعاون اقليمي بمعزل عن العراق. فقد أثبتت التجارب الصراعية السابقة في الخليج وعلى مدى نصف قرن ان الاستقرار يبقى معدوما في ظل اختلال التوازن في القوى، الذي يؤدي الى تكريس سياسات التحالف والتكتل الاقليمي من ناحية والدولي مع شريك اجنبي من ناحية اخرى. وفي الحالتين تكون العلاقات الصراعية هي اساس العلاقات الاقليمية - الخليجية، وتكون العلاقات التعاونية هي الاستثناء.

فالتقارب السعودي - الايراني مثلا في الستينات والسبعينات، على حساب العراق، أدى الى شيوع مناخ عدم الاستقرار، كما ان التقارب العراقي - السعودي في الثمانينات على حساب ايران، ضاعف ايضا من مخاطر الحرب وعدم الاستقرار. أما في التسعينات، فقد أثبت تجربة عزل ايران والعراق معا لصالح الوجود الامريكي المكثف ان الثمن هو مزيد من الغربة الاقليمية ومزيد من تفكيك العلاقات الاقليمية لمصلحة تهميش دور الدول الخليجية في صنع سياساتها الوطنية.

هذا الاستنتاج شديد الأهمية الآن بالذات في ظل مناخ التقارب الايراني - السعودي مع استمرار حالة عزل العراق.

لقد دقت ندوة «مستقبل العلاقات الكويتية - العراقية» ناقوس اليقظة لإعادة هندسة منظومة العلاقات الاقليمية الخليجية على أسس من الوعي بحقائق الجغرافيا والتاريخ ومتطلبات بناء المستقبل، وهذه كلها أمور تتعارض تعارضا تاما مع بقاء الألغاز الخليجية على ما هي عليه.

د. محمد السعيد ادريس